للمغفور له محمد علي باشا فان المكتتبين لتمجيد ما رأوا افضل من انشاء دار للمجانين بالمال الذي جمعوه دون ان ينظروا ادنى نظر الى انشاء مدرسة او مستشفى للمرضى وذلك لانهم وجدوا المهم المتقدم كما وجدت الحكومة ان المهم المؤخر فهي لا تفتح المدرسة او تقفل الخمارة حتى لا ينتشو الجنون بل تترك اسبابه ثم تهتم بعلاجه ولكن المأمول ان تنتبه الحكومة لهذا الامر الخطير المتوقفة عليه سلامة الامة فترى لها في الخمر رأيا كما رأت في الحشيش والا لم يكن عملها تاماً لانه قد ثبت ان تأثير الخمر وتركها رخيصة شائعة والسماح للخمارات بالمدة الطويلة مما يعد ادهى من الحشيش والدليل على ذلك ان الحشيش قل كثيراً ولكن الجنون ما قل لان الخمر قامت مقامه

الرجاء بعد اليأس

- ايه لهذه الكلمة ما احلاها . انني محدثكم اليوم بحكاية صديق لي كلكم تعرفونه وتحبونه وهو ابراهيم حبيب الذي لعبت بهايدي الاغتراب اياماً وعبس الدهر في وجهه مدة غربته حتى ظنه غير باسم له طول الحياة فوطن نفسه على مفارقتها . ثم ما لبثت غمامة اليأس ان انقشعت وبدا من ورائها شعاع الرجاء وبارق الامل يبسمان على شفتي غادة حسناء كأنما الله قد بعث بها رأفة بابرهيم واخلائه ...

كان المحدث يوحنا الرقيق المعشر المتحمس لاسيما في الولاء وهو من

اصدقاء ابرهيم الاصفياء وكنا ثمانية اصحاب حول منضدة في المكس صفت عليها كؤوس الجعة صفراء كالشمس الدانية للمغيب . فلما بلغ يوحنا من حديثه الى ذلك الموقف مد يده الى الكأس فشرب ثم اشعل سيكارة وقال

– رأيت ان يكون الحديث عن لسانه فانه كتب اليَّ وانا قارئ عليكم رسائله . قلنا نعم وذلك اولى . فمد يده الى جيبه فاخرج الرسائل ونشر الاولى وقرأ :

باريس في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٣

ايها الصديق العزيز . افقت اليوم من النوم وانا في اخر يوم من عام واول يوم من سنة من سني حياتي العامرة ولكل بكل عمل من اعمال الجهل والخرق ... اقول ذلك لا تحاملا مني على نفسي واعتداء على ذاتي بل اعترافاً بالحقيقة التي اشبهها بالنور فهو لابد له من الظهور بل هي لعمري اوضح منه فانها لا تحجب بالاكف ولا تطفأ بالافواه ... وماذا عليّ اذا شببت اخرق وكبرت جاهلا ؟ فالمرء اما ان يكون مسخراً في هذه الحياة لما هو مقدور له وحينئذ فان الله او بوذا او الطبيعة على رأي هذا وذاك وهؤلاء هو الذي صنعني وقدر لي ان اعيش كما عشت واكون كما انا ولست بعد ذلك ملوماً . واما ان لا يكون لعلة الوجود دخل في الامر وحينئذ يكون الذنب لابويَّ ويصح قول ابي العلاء

هذا جناه ابي عليّ وما جنيت على احد

نعم انني لم اجن بعد على احد فانني لم اتزوج ولم ارزق البنين والبنات ومع ذلك فانني شاعر بانني قد جنيت على نفسي من حيث لم اجن على احد ....

ولعمري اية لذة في الحياة بل اية حياة لرجل يفتح عينيه لنور الصباح في يوم يذكر فيه يوم ميلاده يوم يخرج من السابعة ليدخل الثامنة بعد الثلاثين من عمر ينشد لاجله مع المتنبي احيا وايسر ما قاسيت ما قتلا نلا يبسم في وجهه الا الجدار الغريب - اذا كان الجدار يبسم لوحيد في بلاد غرابة في مثل هذه المدينة التي انا فيها والتي سمحت لنفسي ان تسميها مدينة العلم والحرية والنور وبابل الخلاعة واللهو والفجور ...

لا . ان الجدار لا يبسم في بلد لغريب . لذلك لم افتح اليوم عيني الا على الفكر العابس بانني طريد الدهر في بلاد الغربة والبعد حيث لا اب ولا ابن ولا اخ ولا صديق ويا لشقوة الرجل في صباح عيد اذا لم تقع عينه على مثلهم ورحم الله من قال اخاك اخاك ...

حزينة هي اليوم نفسي وقد حاولت ان افرحها بطاقة من البنفسج احتملها اليّ صديق الماني - وهو صديق لي بقدر ما يستطيع الماني قاطن في باريس ان يكون صديقاً لعربي جمعته به الاسفار — ثم حاولت ان اذهب الغم عنها بكاس من الراح ثم بسماع الحان تطرب بها جارة لي ولكن

أصخرة انا ما لي لا تحركني هذي المدام ولا تلك الاغاريد

تالله صخرة لم اكن وانت تعرفني بل هكذا الراح ان دارت على شجن . لا بل صخرة قد صيرتني الايام وتقلبات الدهر وعبر الزمان حتى صرت احسب مقامي في هذه الدنيا كمقام المسيح بين اليهود . اذن فما بالك يا ابن يوسف تحدث وتبسم وانت عصي الدمع شيمتك الصبر . اما لغدرات الايام نهي عليك ولا امر ... بلى وعلم الله ان سيوف الاحزان

تقطع احشائي ولكن مثلي لا يذاع له سر . حتى اذا الليل اضواني بدوت كما انا واذالت دمعاً من خلائقه الكبر ...

آه تعب كلها الحياة فما اعجب الا لراغب في ازدياد . بل كفى المرء داء ان يرى الموت شافياً ... ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى الحياة عدوة له وما من صداقتها بد ...

أجل . لابد من الحياة ... هناك في ما وراء البحر تحت سماء مصر آه يا ارض مصر تحية وسلام

وما حب الديار يهيج شوقي ولكن حب من سكن الديارا

هناك في تلك البقعة المباركة الصافية السماء العذبة الماء العليلة الهواء اخوة واشقاء وانسباء واصدقاء يحبونني واحبهم ويذكرونني واذكرهم ويحنون اليّ واحن الى لقائهم ...

جاء في الامثال اذا لم يكن ماتريد فاردما يكون . فاذا لم تجد سبيلا الى الراحة الدائمة فاقرع باب الراحة الموقتة واعتنق النوم ان ضجعة النوم ضجعة يستريح الجسم فيها ويسكن القلب والشعور

وعليك يا يوحنا ايها الصديق العزيز وسائر الاهل والرفقاء سلام الله معتنقاً رضاه ابرهيم الخليل

*
* *

وطوى يوحنا الكتاب فاعاده الى جيبه ثم نشر رسالة ثانية وتلا :

باريس في ٩ كانون الاول (دسمبر) ١٩٠٣

يا صديق اذا ذكرته في هذه الساعة فانما اذكر كل صديق لي . اقبلك يا يوحنا مقبلا بك الاحباء والرفاق والاصدقاء الذين سوف يضمون

الى اسفك حزنهم ويمزجون بدموعك بكاءهم - لانني اعرف فؤادك وقلوبهم - اقبلكم قبلة الوداع الذي ليس بعده لقاء ولا اجتماع ولا في ظلمة اللحد اذ ليس لابرهيمكم ضريح ....

انني مستغفرك يا اخي عما انا مسببه لك من التأثر والانفعال لدى قراءة هذه الاسطر التي هي آخر ما يخط قلمي العربي ويحمله مني البريد الاجنبي لكنني رأيت من حق الاخاء الذي يربطنا ان اودعك بكلمة اقولها لك ولكم جميعاً ان آخر انفاسي طائر الى مصر وانني مائت ونظري شاخص اليها

واذا بلغك هذا الكتاب صباح اليوم الخامس عشر من هذا الشهر الذي سوف لا تطلع شمسه مني الا على جثة هامدة وانفاس خامدة فقل لقد مات ابرهيم وقد مات مشتاقا الى الخلان ....

اتذكر ايها الصديق انني كتبت اليك في اليوم الثاني عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) وذكرت لك ما اعتراني من اليأس واخذني من القنوط وانني محاول ان اذهب كل ذلك عني واستمسك باذيال الحياة لان نفسي ليست لي ولان الحياة واجبة علي ... ولقد جاهدت منذ ذلك الحين جهاد المستقتل في سبيل الحياة مستمداً من الضعف قوة ومن الجزع صبراً ومن اليأس رجاء فما كان اسرع ما غلبت والقيت السلاح امام الزمان هذا العدو القوي القاهر ... أجل . لم يكن الفوز لي في ذلك المعترك ولم اخرج من ذلك الجهاد منتصراً ... ولقد صغرت نفسي على كبرها وضاقت بي الدنيا على وسعها وسئمت الحياة على ما بها من البهجة وفيها من السرور بوجود رفاق مثلكم كالانجم الزهر اخلاقهم ودمع العذراء في صفائه ولاؤهم

اذن فمتى بلغتك هذه الرسالة فابك ابرهيم ان الخليل صائر في الساعة

التي تقرأ فيها هذه الاسطر الى الفناء ... واذا بكيته مع بعض الاخصاء فاندبوه سراً مخافة ان ينمى الخبر الى اهله فيموتوا جزعاً عليه ... اقول ذلك لانني معول على اخفاء حقيقة نفسي فلا يعرف احد جثة من هذه التي ينتشلونها من غمرات المياه وينقطع خبري عن اهلي فلا يعرفون ابن انا لكنهم لا يعرفون انني القيت نفسي في النهر هرباً من الحياة ... وانت تعلم ان لي من كل شقيق وشقيقة من يفتديني بنفسه بل بعشرات نفوسه لو كان للفرد الواحد انفس فيعز عليّ ان امرضهم حزناً واقتلهم اسى وجزعا اذا عرفوا سوء فعلتي بنفسي ... وانني مقر بان ما انا عازم عليه جناية عظمى لا تغتفر لرجل عركه الدهر وعرف الايام كما عرفته ولكنني ضعفت الى الحد الذي لا ضعف بعده واصبح الموت في عيني احلى من هذه الحياة المرة

على انه اذا قدر الله وبلغ خبري الى اهلي فكن لهم بمثابه الصديق المعزي وامسح دموعهم الجارية بمنديل التسلية والتجمل . ولا تبعدنك شدة حزنهم عن موالاة زيارتهم لمؤاساتهم فانه لا يبرد حرارة الحزن ولا يطفئ جمرة الاسى مثل نظرة الصديق الذي كان للغائب العزيز صديقاً

والان فقد صعد الدمع من فؤادي الى عيني وقطر من مقلتي على وجنتي وبلغ بي الجزع والانفعال مبلغا لا اقوى معه على المزيد من وداعك وقد كان من حقك علي ان ابسط لك الاسباب التي من اجلها فضلت الفناء على البقاء والتمسته على هذه الصورة الشنعاء . لكنني لا اريد ان احزنك اكثر مما احزنتك فان الكلام في حياتي ادعى الى الشجن من خبر موتي . فالوداع يا اخي انني سأموت في صباح الخامس عشر من هذا الشهر ولم

يبق علي الا ان احتمل وقر الحياة خمسة ايام عدا ما بقي من هذا اليوم ... وخذ من صديقك وطف بها على كل الاصدقاء الامناء قبلة اخيرة اودعها هذا الكتاب ليستودعك اياها الى ان نلتقي في عالم الابدية اذا كان في الابدية عوالم وعليك السلام

*
* *

وكان يوحنا يقرأ وصوته يتهدج ويضطرب الى ان اتم تلاوة الرسالة ولم يكن فينا الا كل متأثر مكتئب مغرورق العينين بالدمع . وصمتنا ساعة انرغنا في خلالها الكؤوس لبل حلوقنا التي جفت لشدة الانفعال . ثم اشعل يوحنا لفافة أخرى وقال :

– لما تصفحت رسالة ابرهيم وكان ذلك في صباح الثلاثاء في منتصف الشهر الاخير من العام وتلوتها وأعدت قراءتها ثانياً وثالثاً جمد الدم لاول وهلة في عروقي وحسبت نفسي لا في يقظة بل في منام . ثم عدت الى نفسي فتمثلت الحقيقة بشناعتها وتذكرت ذلك الصديق العزيز وذكرت شبابه الغض وآدابه ورقة اخلاقه وصفاء ولائه فخنقتني العبرات وبكيت بكاء مراً وانا اقول اين جثتك يا ابرهيم فاغسلها بدمعي واحنطها بدمي واين ضريحك ايها الخليل فاجثو عنده وانثر عليه الزهر ثم اصبح اليه في كل يوم فاذكرك وابكيك واندب شبابك وارثيك

وما زالت عبراتي تسيل ساعة وترقأ أخرى الى ان آذن النهار بالانتصاف واذا بساع للتلغراف يحمل الي رسالة برقية فتناولتها دون ان احفل بها . على انني لو كنت اعرف عند استلامها ما حوته وكانت روحي في يدي

لوهبتها لحاملها الي . ثم فضضت ختامها وتلوتها وانا اكاد اجن من الفرح وهذا معرّبها

عدلت عن اليأس الى الرجاء وعن الموت الى الحياة فقد ارسل الله في هذه الساعة ملاكا كريما انقذني من الهلاك وشفاني من داء التنوط والتفصيل بالبريد

*
* *

وكأن تلاوة هذين السطرين قد فرجت الكرب عن الصدور وشفت النفوس من ألم الكآبة والانقباض فاستل كل منا سيجارة وقرعنا الطاولة بالاكواب مستدعين خادم القهوة لاملائها

وكان الظلام قد أخذ يرخي على البرية ستاره وقد دنت ساعة الانصراف فقال يوحنا لنشرب ايها الاصحاب على ذكر ابرهيم ثم ندع تلاوة ما بقي من حديثه الى ما بعد العشاء فقلنا بل الى الغد في مثل الساعة التي اجتمعنا اليوم فيها . وتواعدنا على الاجتماع في اليوم التالي وقمنا الى مركبة الكهرباء

قال الراوي لما كان اليوم التالي وقد مضت ساعة الاصيل ومالت الشمس الى المغيب اقبل كل منا الى الموعد المضروب ونشر يوحنا رسالة ابرهيم وقرأ :

باريس في ١٥ كانون الاول (دسمبر) سنة ١٩٠٣

اي صديقي واخي وامين سري

ضاقت ولما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت اظنها لا تفرج

*
* *

اما وجهها فمن آل بدر وشعرها اشعة التمر الذهبية وقوامها غصن

البان وعيناها زرقة السماء ونظرتها السحر الحلال وفمها خاتم العقيق وابتسامها رجاء الدهر وفرح الايام واسمها غراتز بيلا .. واما فؤادي فمن آل عذره

* * *

اليوم بلغ اليك كتابي فابكاك ساعة ثم جاءك تلغرافي فكفكفت الدمع السائل من مقلتيك واعاد الابتسام الهارب الى شفتيك . وان اليوم ايها الصديق ليومي العظيم مت في صباحه او كدت - والسائر بقدمه الى الموت ميت - ثم حييت وبعثت من ظلمة اليأس الى نور الرجاء وحبذا مع الامل الحياة ...

لما اصبح الصباح نهضت مبكراً فارتديت احسن ملابسي واقصيت عني كل ما يمكن ان ينم عليّ واخبرت اصحاب الفندق انني مسافر الى العالم الثاني - فحسبوا انني ذاهب الى اميركا - ثم خرجت فدخلت اول معبد مررت امامه فجثوت في خلوة وراجعت حياتي من حين ربيت في القرية التي هي مسقط راسي الى ان شببت وهجرت الوطن الاول متخذاً مصر وطناً فداه كل وطن ... وحييت في تلك الساعة سبعاً وثلاثين سنة وشهرا وثلثة ايام حييتها يوماً يوماً وساعة ساعة دون ان يفوتني منها تذكار واحد وارسلت روحي ترفرف حول منزل اهلي ومقام اصدقائي ورأيتك بالفكر تقرأ من رسالتي اليك سطراً وتمسح باطراف البنان دمعة ... ثم رفعت نفسي الى الله وصليت مستغفراً وقمت رابض الجاش ثابت القلب لا ياخذني على عمري ولا على هذه الدنيا اسف .

وكان مقامي في المعبد قد طال اكثر مما كنت احسب دون ان اشعر فخرجت منه والشمس رأد الضحى لو كان للشمس ظهور وسرت في

الطريق المؤدية الى الجسر الذي كنت مريداً ان اقذف بنفسي منه الى النهر . وكانت الشوارع والطرق مزدحمة بالخلائق والبرد قارساً والجو قاتماً على انني كنت اقطع السبيل غير شاعر بالوجود ولا بالبرد وقتام ذلك الجو ....

غيبوبة اعترتني الى ان بلغت الجسر ونظرت الى النهر وشعرت كأن برد مياهه قد جال في عروقي فافقت كما يفيق النائم وصحوت كما يصحو السكران ... وكانت الامطار التي هطلت والثلوج التي ذابت تصب مياهها في السين ذلك النهر الذي اعددته ضريحاً لي فتزيد في تياره حتى بدا كأنه قطعة من بحر وصارت مياهه تنحدر متماوجة يضغط بعضها بعضاً ويطفو عليها الزبد كأنه على امواج متكسرة وقد صار لها صوت ليس بالهرير ولا بالخرير . فوقفت لدى ذلك الكفن السائل البارد واخذت لاول مرة افكر في ما اقدمت عليه وتصورت كيف ما بين طرفة عين وانتباهتها اصبح كأنني لم اكن ثم لا تبكي علي عين صديق ولا يزور تربتي نسيب ... وفكرت كيف لو مرضت عندكم كنتم تعودونني ولو مت بينكم كيف كنتم تجللون نعشي بالاكاليل وتسيرون ورائي باكين آسفين . فوددت انني لا امرض الا عندكم ولا اموت الا بين يديكم ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ...

وفي تلك الساعة شقت الشمس حجاب الغيم والقتام فنظرت واذا بالناس في رواح ومجيء ورأيت فتاة كأنما اظلت الشمس من وراء حجابها لتحييها وتبسم لها مستنده الى ذراع شيخ كلات السنون هامه بالبياض .

فلقي نظري نظرها وتقابل النظران طرفة عين ثم اغمضت عيني وحوّلت بصري الى الماء كأنني استغيث به على ذلك الجمال الفاتن

وكنت كان صوت النهر يخاطبني قائلا « تعالَ الي ياصاحب النفس الحزينة والقلب الكسير ... تعال ايها البائس من صفو العيش القانط من عدل الايام الهارب من متاعب الحياة الراغب في الراحة الدائمة الملتمس السكون والنسيان ... تعال والق نفسك بين ذراعيّ فانني لا ارد احداً ولا اصد ملتجئاً اليّ ... تعال فكم محزون جاء قبلك وكم جاء بائس وقانطة من شيوخ حنت ظهورهم المصائب وفتيان جرح الغرام قلوبهم وصبيان لعب الجنون بالبابهم فوجدوا في احضاني الراحة الدائمة راحة الموت والموت احدى الراحتين ...

عند ذلك مرت الفتاة عن يميني فاصبحت كانني بين قوتين الموت والحياة تتجاذباني من اليمين واليسار فقلت بصوت غير خافض ولا مرتفع وانا لا اشعر «ربي ربي» قلتها بالايطالية واناعربي وفي باريس ولا اعرف لماذا واقفت ارقب خلو الجسر من المارة كي لا يراني احد عند ما اقذف بنفسي الى النهر فيسعى في انقاذي

وبينا انا على تلك الحال لم اشعر الا وصوت كانه مناغاة طائر من طيور الجنة يقول السلام ياسيدي ... وكانت المسلمة تلك الفتاة الحسناء فاجفلت وقلت في ذاتي علام بدت تبعث الاسف في نفسي لفراق الحياة ... ثم بسمت في وجهها وكان ابتسامي ابتساماً حزيناً وقلت « وعليك ياسيدتي السلام ورحمة الله . فقالت « اسألك المعذرة لدخولي فما لا يعنيني ولكن ما وقوفك هنا » قلت « اليك ياسيدتي عني يرحمك الله والحقي بابيك »

فنفرت الفتاة لهذه الكلمة قائلة « ابي ... صدقت نعم صدقت انه ابي » ...

وانني عجبت لكلامها ثم قلت « اذا كنت قد اسأتك فاغفري لي » .

فقالت « لا صرح ياسيدي ولنعد الى موضوع حديثنا فما بغيتك من هذا الموقف » . فلم ارد الجواب فنظرت الي نظرة بلغت الى اعماق نفسي وهزت رأسها قائلة « ان ظني لم يخطىء موقعه ... واننا يائسان فانت يائس من الحياة وانا قانطة من السعادة فتعال نشترك بين اليأسين لعل احدنا يسلي الآخر

ومدت يدها الي فوضعت فيها يدي ثم اخذت بذراعها ذراعي وسرنا الى اقرب قهوة فجلست الى جانبي واخذت تحدثني وتقول . « انني ايطالية واسمي غراتزيلا وقد ولدت في جنوى وكبرت في باريس وكانت لي ام احبها حتى العبادة فابتلاني الله بفراقها ودعاها اليه قبل ان أجاوز السابعة عشرة من سني الصباء . وبعد ذلك بسنتين تزوجت لا مختارة ولا مرغمة من رجل كل من رآني بصحبته حسبني ابنته فاقمت معه منذ خمس سنوات الى الان وانا كالنبت المنزرع في الارض الجافة تحرقه الشمس ولا يروى بنقطة ماء

وعند ذلك رأيت بين جفنيها دمعة تحاول ردعها فتنفر بالرغم عنها فادركت حينئذ ان هذه الزاهرة الناضرة التي لا تحييها الا حرارة الربيع قد غرست في ذلك الثلج القاتل ثلج شتاء الحياة وفهمت السبب الذي من اجله نفرت عند ما قلت لها الحقي بابيك وليس ذلك الاب الا زوجها وقرينها ورفيق صباها فامتلأت نفسي شفقة عليها ورحمة لشبابها الغض وللاربعة وعشرين ربيعاً يضمها ويحيق بها السبعون شتاء ... ثم قالت .

« ولقد حاولت ان افتح فؤادي لحبه كما ينبغي للمرأة ان تحب زوجها فلم اصل الا الى حب الابنة لابيها وحل الاحترام لشيخوخته المكللة بالبياض محل الحب في قلبي الملتهب بدم الصبـاء . ومن ذا يلومني اذا رآني ورآه ولم يقرأ في فؤادي غير سطور الحب البنوي وكلمات الاحترام له

وما زلت اقطع الايام واحيي الليالي راضية بما قسم الله لي غير مجترئة على ان اتخذ لي من شبان هذه الايام صديقاً اجد عنده شيئاً من الانعطاف ويرضى مني بالصداقة والولاء تاركا لي ما يأبى علي العفاف بذله سوى الذي وضعت يدي في يده واتخذت على نفسي ان ارعى حرمته واقيم على عهده الى ان تنطلق نفسي ونفسه من سجن الحياة

ولست اكتم عنك ان كثيرين يحيطون بي ولا همّ لهم الا مغازلتي وهم يتقربون الي بكل حيلة ووسيلة . لكنني اعرف ثمن صداقتهم ويبعدني عن ولائهم ما اراه من انحطاط نفوسهم وسفالة غاياتهم فانهم لا يحسبـون ان صبية تستطيع ان تعيش مع زوج ضارب في السن وتبقى مرتدية رداء العفاف الجميل لذلك لم اتخذ الى الان صديقاً لنفسي اجد في ولائه لذة الحياة فان نفسي الشابة تأئقة الى موالاة قلب شاب مثلها يشعر بمثـل شعورها ويفهم حقيقة عواطفها واميالها . والحب بين نفسين لا بين جسدين ولكن كم بين فتيان هذا العصر من يفهم هذا المعنى ....

ولما رأيتك عند الجسر وقابل نظري نظرك وسمعتك تنـادي ربك بالايطالية تحركت في فؤادي عاطفة كانت نأته فيه وقلت في نفسي هـذا هو الصديق وهذه الضالة المنشودة . وفكرت في وقوفك على ذلك الجسر فقلت بأس مثلي وانفصلت عن ... زوجي وجئت أقدم اليك .

وانت غريب وانا غريبة وانت حزين النفس وانا كسيرة القلب فهل لك في ان نكون رفيقين مخلصين نقطع سبل الحياة على صداقة وولاء وحب لا تشوبه غاية سافلة ...

وكانت الفتاة تتكلم وانا مصغ اليها لا اقطع حديثها بجواب الى ان انتهت من القول فاطلت النظر الى وجهها ثم تناولت يدها فقبلها وقلت نعم

غريبان يا جارتي اننا وكل غريب نسيب الغريب

فضعي يدك في يدي واسندي ذراعك الى ذراعي والقي رأسك الجميل على صدري معتمدة على ولاء ترافقه النزاهة وحب صنوه الاحترام

حينئذ بدت بين جفنيها دمعة وعلى شفتيها ابتسامة وقالت لست بآسفة على ما مضى فلقد كفرت الايام عن كل اساءة سلفت .

ثم نهضنا فخرجنا وخلونا في مركبة الى ان اوصلتها الى منزلها فافترقنا على موعد . ولما حان الموعد اقبلت تتهادى في ملابس سوداء وغلائل من حرير وقد لفت الفرو حول عنقها وفاحت منها رائحة ما شممت في حياتي ازكى ولا الطف منها . فطوقت بساعديها عنقي وجعلت ذراعي سواراً لخصرها وغاص نظري في نظرها وبينا ابسم لها وتبسم لي اكبت على حين فجاءة فقبلتني فلقيت شفتاي شفتيها وامتزجت انفاسنا امتزاج روحينا ثم سمعتها تقول حبيبي انت من قبل ان اراك والقاك ... وها هي الان الى جانبي الى جهة القلب مني تنظر اليّ فابسم لها وستحبني واحبها الى ان ينضب ماء الحياة في عروقنا ويقضي الله امراً كان مفعولا . وفي الختام اهديك منها ومني ازكى تحية وسلام .

ابرهيم الخليل